المحاضرة رقم 03: التكيف المدرسي و المهني (تابع)

عناصر الموضوع

- **خصـــــائص التكيف.**
- **عـــــوامل التكـــيف.**

بعد ما قمنا بعرض مختصر لجملة من النظريات النفسية حول التكيف، ننتقل بعدها إلى الكشف عن خصائص التكيف مع الوقوف على أبرز العوامل التي تقف وراءه ؛ مع التطرق لمختلف معاييره و منه ننتقل إلى التمييز بين أنواع التكيّف.

أولا: خصائص التكيف: يتميز التكيف بثلاثة خصائص رئيسية و هي كالتالي:

- **خصائص دينامية.** حسب(Gabrielle Mercier le Blond 2008) **تتمثل في** التوازن الديناميكي؛ هو إتجاه نفسي؛ يسمح للفرد بأن بتصرف بطريقة منسجمة من أجل التعامل مع مختلف المواقف الصعبة التي يتعرض لها الفرد في بيئته و التي تعد بمثابات إختبار و هو ما يؤشر إلى صحة الفرد النفسية.[Pierre-Paul Malenfan et autres ; 2008 P 05]
- **خصائص معيارية:** متى نصدر الحكم أن الفرد قد تمكن من الوصول إلى درجة التكيف؟
  - **أولا؛** نأخذ بالمعيار البيولوجي: حيث يوجد لدى الإنسان جهاز يدعى أوميوستازي Homéostasie هو المسؤول عن ضبط الجهاز الفيزيولوجي و إعادة توازنه في حالة تعرض الفرد إلى إضطراب [Martin Desseilles : 2016 : P 330] Ganzel & All 2010, Canon 1932

كما يوجد جهاز بالدماغ؛ يسمى بال Alostasie ؛ و يعد حسب العلماء (Sterling & Eyer 1988) ؛ بمثابة وسيط بين الإنسان و البيئة؛ حيث يقوم بضبط العلاقة بين التغيرات الفيزيولوجية و لطلب الأحداث الخارجية أي بيئة الفرد. [Martin Desseilles : ibid ;p 330]

- **ثانيا:** معيار التطور :نحكم على الفعل؛ أنه تكيف حين يطوّر قدراته خاصة و هو يواجه حدثا ما.
  مثلا: حين يتمكن الشخص من تجاوز الصعاب بإستخدام الخبرات السابقة، أو الذكاء.

- **خصائص نسبيـــة:** بمعنى أنّ الفرد؛ قد يكون متكيفا لفترة من الزمن في حياته؛و قد يتعرض لحالة توتر تششت ذهنه، كما أنه يمكن أن يكون متكيفا في مجالات حياتية دون أخرى(السنبل:2004: ص 04)
- **خصائص وظيفية:** حتى يتمكن الفرد من الإستمرار؛ عليه أن يطورّ من أداءاته بغية إشباع حاجياته الاساسية؛ و التي في ضوءها، يتحقق وجوده. و عليه فوجود الفرد مرتبط بمدى قدرته من تطوير من

إمكانياته الذاتية و بلوغ درجة من الكفاءة. إلاّ أنّ بعض الأوساط تحكمها قوانين تتجاهل بعض الحالات و تحّد من إمكانياتها(Guillaume,Simonet 2009 : P.P 393-394 ;

مثلا: بعض الأشخاص لا يستمرون في بعض الوظائف رغم ميلهم الكبير لتلك الوظائف فالعائق الذي حال دون إستمرار ممكن يعود إلى الظلم الإداري أو نظرا لتعفن العلاقات العامة داخل المؤسسة. و حين يقوم أصحاب الكفاءة بإنتقال إلى مؤسسة أخرى؛ تسود فيها العدالة و يطبق فيها القانون على قدم المساواة؛ فإن ذلك يجعل الفعالية الذاتية عالية المستوى.

و إذا أعتبرنا أن التكيف وثيق الصلة بالجودة في الأداء و بالإستمرار و التطور و أن الوصول بالفرد إلى درجة التكيف تؤهله ليصبح فاعلا يقدم أدواره المنوطة له في أحسن وجه سواء في محتلف المجالات التي التي يتواجد بها.فإن يستوجت التعرف على مختلف العوامل التي تسهم في تحقيقه

ثانيا:عـوامل التـكيف: ثمة عوامل تسهم في جعل الفرد أكثر تكيفا من غيره، و حددت في ما يلي:

1. **العوامل البيولوجية:** حسب العديد من الباحثين؛ أن هناك مخاطر بيولوجية؛ تكون نتيجة تدخل عدة تأثيرات منها(مشكلات جينية، عوامل مؤثرة أثناء الحمل كتدخين الحامل، الإدمان، العقاقير، الميلاد المبكر، قلة الوزن للمولود، مضاعفات أثناء الوضع).و التي يكون لها أثارا على مستقبل نمو الطفل [Américan academy of pediatrics 2004, Bennett,Bendersky & Lewis 2008, Landry, chapiesky , Richardson, Palmer & Hall 1990 , Lewis & Bendersky 1989, Poon , La rosa & Pai 2010]

يمكن لهذه المخاطر؛أن تثير مشكلات مع مختلف الأسباب التي ذكرت، حالة من اللاتوازن الهرموني، و من ثم تؤدي إلى تأخر في مختلف النماءات؛ منها اللاتناسق الحركي لدى الطفل ، صعوبات في النطق و الكلام ، ضعف في القدرات الذهنية؛ مما سيكون له أثارا على مستوى الذكاء. كل ذلك ينجر عنه تأخر في المستوى الدراسي، و على مستوى الأداء السلوكي كذلك (سوء التكيف/ الإفراط في الحركة / مشكلات ذهنية)؛ كذلك يمكن أن تصاب؛ الحالة بإعاقة أنفعالية (عدم الضبط الإنفعالي) [De Weerth & Buitelaar, 2007; Hwang, Soong, & Liao, 2009; Laucht, Esser, & Schmidt, 1997; Mc Loyd, 1998; Poon, et al., 2010]

بعض الدراسات الطولية كشفت عن أثار تدخين الحامل على الجنين؛ حيث توصلت نتائجها، التي أجريت على عينة من الحيوانات، و كذلك على بعض النساء الحوامل؛ إلى أن له بالغ التأثير على دماغ الطفل [(Ajarem & Ahmad, 1998; Lassen & Oei, 1998; Muneoka, Ogawa, Kamei, Muraoka, Tomiyoshi, Mimura et al., 1997; Olds, 1997] ؛ كما بينت نتائج الدراسة؛ أن تدخين الحامل يوميا سيتأثر بها الجنين؛ مما يجعله مؤهلا ليكون مصابا [إصابات جسدية و نمائية ، سوء التكيف الإجتماعي نتيجة الإعاقة الإنفعالية ، إضطرابات سلوكية، إضطرابات ذهنية، و أكاديمية [(Huijbregts, Séguin, Zelazo, Parent,

lapel, & Tremblay, 2006; Lassen & Oei, 1998; Muneoka et al., 1997; Shea & Steiner, 2008) [

2. **إتجاهات الفرد و خبراته المعرفية و مستوى دافعيته أو العامل الشخصي:**

1.2. لأتجاهات المتعلم و خبراته المعرفية (باندورا Bandura 1977، 1989،1986) و مستوى الدافعية لديه و تحصيله الجيد(Viau 1994، Bouffard & Pinard 1988 ، Bouffart & Bordelau 2002، Bouffart & Boisvert & Vezeau 2003)، كما أعتبر Lazarus & Folkman 1984 أن ترقب التلميذ للمستقبل الدراسي يمكن أن يؤثر في طريقة التكيف مع الظرف الذي سيحدث [Carole Vezeau : 2007 :P.P03,04] دون أن ننسى مستوى الذكاء و **الطموح لدى المتعلم الذي يعتبران أحد أبرز الركائن في دعم شخصية التلميذ المعرفية و النفسية كذلك و نحن نعلم إذ أنّ الذكاء هو قدرة الفرد على التجاوب الإيجابي مع مختلف التحديات و كيفية حل المشكلات بأقل لاأضرار. وأما الطموح رغبة المتلعم في تحقيق أحسن المراتب مما يزيد من درجة الحظ من دخول المستقبل (Carole Vezeau : 2007 : P 03)**

مثلا: تصور تلميذين تعرضا لموقف حرج ، لنفرض أن (أ) أنه تجتمع فيه معظم الكفاءات الذهنية و الوجدانية و أن (ب) كفاءاته المعرفية و الوجدانية و مستوى الطموح هي أقل مقارنة مع (أ)

السؤال: أيهما يكون قادرا لتجاوز المشكلة؟

2.2. مستوى دافعية التعلم لدى المتعلم: حسب أنصار نظرية الهدف(Ames 1992 ; Nicolls 1989)؛ و هي نظرية شهيرة في مجال الدافعية التعلم ، فإن المتعلم يقيّم ظروف تمدرسهم و تكون ردود أفعالهم حسب الأهداف كما يتصورها التلميذ. أي أن التقييم لا يقتصر على التحصيل في حد ذاته و إنما تقييمه يكون حسب الأفعال الدالة أنه يريد أن يتعلم.(Bénoit galland et autres :2006 : p 02)

3. العامل الأسري: الأسرة كمؤسسة للتنشئة الإجتماعية؛هي مسؤولة عن التكوين النفسي للفرد، فكلّما كان وعي الأسرة بالأدوار التي هي عاتقها؛ كان منتسبو لهذه الأسر أكثر تماسكا من الناحية النفسية و أكثر حظا لتحقيق مستوى من النجاح في كثير من المجالات. حيث أشارت العديد من الدراسات إلى هذا الدور(Aunola, Stattin & Nurmi 2000)(Grolnick, Kurowski & Gurland 1999) كما أن لدعم الأسر لأفرادها دور في تكيفهم(Harter 1996, Grolnick , Ryan & Deci 1997). [Carole Vezeau ; Ibid p 04].

و في شق آخر؛ أشار Coleman 1988؛ بأنّ المتمدرسين المنتمين للأسر الفاعلة، و التي تربطها علاقة مع مختلف الفاعلين الإجتماعيين، و أن مستوى دخلي الشهري يكفي لتغطية حاجياتها الأساسية ؛ و تتمتع برصيد من الوعي الثقافي؛ يكونون أكثر تكيفا، و مؤشر ذلك هو نجاح أبناءهم في المجال الدراسي و مجالات أخرى. Les facteurs influençant l'adaptation scolaire des éleves de l'immigration :

4. طبيعة المناخ السائد داخل البيئة المدرسية: حسب كل من (Anderman, Maehr,& Midgly1999, Comfort,Shonert –Reicht & Mcdougal 1996–Macdougal & Himel 1998, Midgly ,Arankumer & Urdan 1996) أن للجو العام السائد داخل البيئة المدرسية بشكل عام؛ و البيئة الصفية بشكل خاص؛ و مهام المعلم و ما يثيره من تنافس داخل البيئة الصفية؛ و الشعور بالإنتماء للجماعة الصفية و العلاقات البينية الصفية دور في تحقيق التكيف. [Melanie labelle –royale :ibid ;P 42][Carole**Vezeau** :Opcit ; P4]

ومن هنا؛ فالتكيف هي عملية ناتجة عن علاقة تفاعل بين المتعلم و البيئة الدراسية و مكوّناتها؛ و من جهة أخرى، يشير كل من Galland & phippot 2005 إلى مسألة أخرى ؛ من وجهة نظرهما؛ أنها تسهم إلى حد كبير؛ في إنتاج ظاهرة التكيّف أو عكسه، و المتمثلة في بعض ممارسات المعلمين تجاه المتعلمين و التي تكون لها أثارا سلبية في ذات المتعلم ، و أن مثل هذه الممارسات؛ تترسخ في ذات المتعلم لتنقل إلى باقي الغرف الصفية فتتمثل صورة سلبية عن المعلمين و بالتالي عن المدرسة مما سينتج عنها جوا مضطربا يؤدي إلى فساد الجو العام للوسط الدراسي ; Benoit Galand et All : 2006 (P15)

و في سياق اخر؛ و حسب (Gino 1972 , Poliquin–verville et Royer 1992)؛ فإن للتواصل الفعال بين المعلم و المتعلم يسمح إلى إقامة تفاعلات ذات جودة و يعمل على خلق مناخ وجداني ملائم لعملية التعلم. Nathalie Frigon (1996) : P43

و من هنا؛ أصبح على عاتق المدرسة أدوار أخرى؛ و لعل أبرزها نزع الحمل الذي هو على عاتق بعض التلاميذ الذين يعانون من مشكلات أسرية (الصراع بين الوالدين ، الطلاق ، الإهمال و أخرى) و مشكلات تربوية و سلوكية و البحث عن سبل تأعيلهم و إدماجمهم ضمن الصف التربوي P6 : 1985 ; (Roumane Mohamed)

5 . عامل المنهاج التعليمي: المناهج التعليمية، كغير من الوثائق التربوية تخضع إلى فحص تربوي و إلى قراءات بهدف تقييمها للإجابة على السؤال التالي ؛ إلى أيّ مدى حققت أهدافها؛. و ما حركة الإصلاحات التي عرفتها الساحة التربوية إلا بناء منهاج أفضل و متكامل. فالمنهاج الذي يبنى على أسس علمية و تربوية و نفسية و مسايرا للتطورات الحاصلة في المجال التربوي و التكنولوجي غالبا ما يحقق نتائج إيجابية.و المنهاج المتنوع و المستجيب لحاجيات المتعلم غاليا ما يعطي نتائج تعود بالفائدة على تحصيل المتعلم و على صحته النفسية. إذ يشير كل من **Szente & Hoot 2006**؛ أن البرامج التي تتضمن نشاطات ترفيهية ثقافية (الفن التشكيلي، النشاط البدني والموسيقى) تؤثر بشكل إيجابي على التكيف المدرسي.(Melanie labelle –royale : Opcit ; P 48)

و من هنا؛ فإنّ غياب مثل هذه النشاطات؛ قد يسهم في إفراز ظاهرة سوء التكيف؛ و في هذا الصدد يشير هويك Howick 1984 أن سوء التكيف، يكون نتيجة عدم تلقي المتعلم للدعم و التفهم لحالته الذي يعاني و التي غالبا ما تكون على مستوى الفهم.Nathalie frigon ; 1996 ; P14

6. العامل الوجداني– إجتماعي : حسب ؛ بيار، هـ،رويال Pierre,H ,Ruel ؛ فالتكيف المدرسي يكون نتيجة عوامل وجدانية (داخلية) و أخرى إجتماعية (خارجية) بالطبع دون عزل العامل المعرفي.أي أن الفرد المتعلم يكون تحت أثر قوى داخلية و قوى خارجية؛ أي أن تلك القوى هي من تحدد نوع السلوك الذي يتشكل و هو يواجه للأحداث و تعرف تلك القوى؛ بالدوافع الداخلية و الدوافع الخارجية؛ كما أشار إليها Josep Nuttin (Pierre,H,Ruel ; 1984 ; P250)؛ مثلا ؛ بالنسبة للعامل الإجتماعي؛ كما أشرنا سابقا؛ تمثل أحد القوى الخارجية، فقد أورد زازو،ب Zazzou B ؛ مثلا مفاده؛ أن التلاميذ الذي لم يسبق أن أعادوا السنة ينتقلون إلى الصف الأعلى بالمقارنة مع أقرانهم المعيدين و يرجع ذلك حسبه إلى أن الفئة الناجحة هي فئة منحدرة من أوساط إجتماعية أفضل.(**Roumane Mohamed : Ibid : P90**)

و في الأخير يبقى أن نؤكد؛ أنّ الظاهرة النفسية هي ظاهرة متعددة الأبعاد (**أنظر الشكل رقم 01**)؛ لا يمكن حصرها في متغير واحد، و عليه فالدارس للعلوم النفسية و التربوية عليه أن يوسع من معارفه في مجال علم النفس و مختلف العلوم المرتبطة به، و أن لا يكتف بالتفسيرات السطحية لمسألة التكيف و الشكل التالي يوضح بصفة جلية إرتباط التكيف بجملة من العوامل.

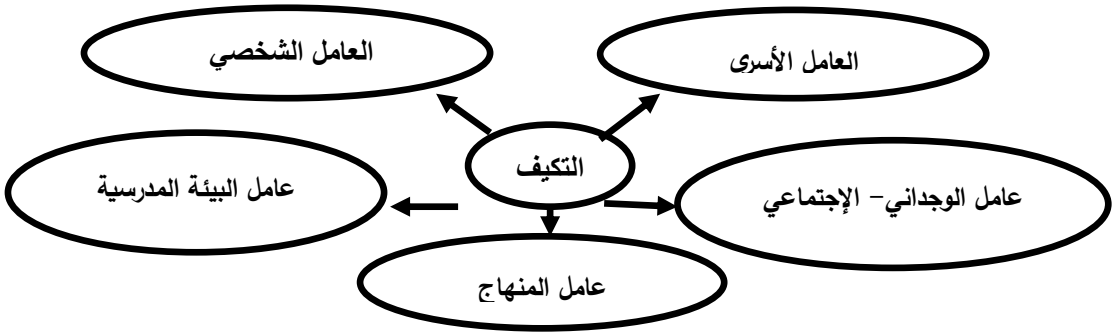

الشكل رقم (03): العوامل المؤثرة في التكيف

خلاصة: من خلال ما تم تناوله من خصائص التكيف و مختلف العوامل المحددة له ، فإن هذا يجعلنا و نحن نعاين التكيف أن نأخذ تللك الخصائص و نحن نحاول إجراء قراءة سيكولوجية لذات للتعرف على درجة التكيف لديها (منسوب التكيف) من جهة ، كما أن على المهتم بقضايا التكيف أن يأخذ بمختلف الأسباب الثقيلة و التي يمكنها أن تقف وراء الحالة النفسية التي تكون عليها الذات.

نشاط: تطرق بالبحث و التحليل إلى مختلف المقاربات السيكولوجية التي جرت حول مسألة التكيف مبرزا مختلف الخصائص التي تميز التكيف من وجهة نظرها.